المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه

عطف الخاص على العام في القرآن الكريم وأثره في إثراء المعنى

من بداية سورة النجم إلى نهاية سورة التحريم

جمعا ودراسة

إعداد

د. أفنان مصطفى أحمد الديباني

الأستاذ المشارك في قسم القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

كلية الشريعة والقانون

جامعة جدة

جدة - المملكة العربية السعودية

amaldebani@uj.edu.sa

Dr. Afnan Mustafa Ahmad Al-Deebani

Associate Professor, Department of the Holy Quran and Islamic Studies, College of Sharia and Law, University of Jeddah, Kingdom of Saudi Arabia.

ملخص البحث:

جاء البحث بعنوان: عطف الخاص على العام في القرآن الكريم وأثره في إثراء المعنى، من بداية سورة النجم إلى نهاية سورة التحريم -جمعا ودراسة-، ويهدف إلى دراسة عطف الخاص على العام وأثره في إثراء المعنى في السور المختارة، وهو من الأساليب البلاغية البارزة في التعبير القرآني، لما يحققه من دقة في توجيه المعنى وإبرازه، وقد اعتمد البحث المنهج الاستقرائي في جمع المواضع التي ورد فيها هذا الأسلوب في السور المدروسة، ثم المنهج التحليلي في بيان الدلالات البلاغية المستفادة منها. كما يهدف إلى إظهار الأثر البلاغي لهذا النوع من العطف في سياق السور المذكورة. ويُبرز أهمية العناية بالأساليب البلاغية في التفسير، ودورها في توسيع الدلالة وتبيين المقاصد، مما يجعل هذه الدراسة نموذجًا لتكامل البلاغة والتفسير في نطاق محدد من السور.

وتوصل البحث إلى أن عطف الخاص على العام في هذه السور لم يأتِ لمجرد التفنن البلاغي، بل لتحقيق مقاصد دقيقة، منها: التشريف ورفع المنزلة، والتعظيم والتهويل، وإظهار النعمة، والتنبيه على خطورة خاص بعد ذكر عام. كما كشف البحث عن الارتباط الوثيق بين هذا الأسلوب والسياق العام للآيات المتعلقة بها.

ويوصي البحث: بالاهتمام بالدراسات التي تظهر أوجه البيان في القرآن الكريم وأثرها في إثراء المعاني التفسيرية.

الكلمات المفتاحية: العطف، الخاص، العام، السياق، سورة النجم، سورة التحريم.

المقدمة

أنزل الله ﷻ القرآن الكريم على نبيه ﷺ بلسان عربي مبين، ليكون أصلَ الهداية ومصدر النور الذي اختصَّ الله به هذه الأمة، فهو كلام رب العالمين الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَزال يفيض على المتدبّرين بمعانيه وهداياته في كل زمان، وقد حثَّ الله تعالى على تدبّره وفهمه، فقال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النِّسَاء : ٨٢] ، الأمر الذي يبرز شرفَ علم التفسير وعلوَّ منزلته؛ لأنه السبيل إلى الكشف عن مراد الله تعالى، وفتح أبواب الهداية الكامنة في آياته.

ولمّا كان القرآن الكريم معجزًا في بيانه، متنوعًا في أساليبه، متفنّنًا في طرائقه ودلالته، جاء علم البلاغة والتفسير ليكشف عن هذه الأسرار البيانية، ويُجلّي طرائق التعبير القرآني التي تُضفي على المعنى عمقًا ودقة لا يبلغهما أيّ كلام بشري.

ومن الأساليب البارزة التي اعتنى بها المفسّرون والبلاغيون: عطف الخاص على العام، وهو مظهر من مظاهر الدقة والإحكام في البيان القرآني، ووسيلة بلاغية تحمل دلالات عميقة.

ومن هنا تتجلّى أهمية دراسة هذا الأسلوب في التفسير، إذ إنّ فهم دلالاته يفتح للباحث أفقًا أوسع في إدراك مقاصد الآيات، ويبرز الإعجاز البلاغي للقرآن في اختيار ألفاظه وصياغة تراكيبه، كما أن الوقوف على أقوال المفسّرين في ذلك يثري الجانب العلمي، ويربط بين البيان والفقه والمعنى، مما يجعل دراسة عطف الخاص على العام جزءًا أساسيًا من فهم الخطاب القرآني فهمًا راسخًا ومنهجيًا.

وتأتي هذه الدراسة لتتبع مواضع هذا الأسلوب من سورة النجم إلى سورة التحريم ، وبيان أثرها في إثراء المعنى وتوسيع الدلالة.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من جوانب متعددة:

١. يسلّط الضوء على أسلوب بلاغي دقيق له حضور واسع في القرآن، لكنه لم يُدرس تطبيقيًا في نطاق محدد من السور.

٢. يسهم في تعميق الصلة بين البلاغة القرآنية والتفسير الموضوعي.

٣. يعزز استخدام البلاغة في استخراج الدلالات العقدية والتربوية داخل السور، النابعة من الأساليب البلاغية وخاصة عطف الخاص على العام.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

١. استخراج مواضع عطف الخاص على العام من سورة النجم وحتى سورة التحريم .

٢. الإفادة من نصوص المفسرين المتعلقة بهذه المواضع.

٣. تبيين الأثر البلاغي لهذا النوع من العطف في سياق السور المذكورة.

٤. إظهار الوظائف العقدية، والتربوية، والتحذيرية، والتوجيهية التي يحققها هذا الأسلوب.

٥. إثراء الدراسات التفسيرية بنموذج بحثي مختصر يجمع بين البلاغة والتفسير.

مشكلة البحث:

تتمثّل مشكلة هذا البحث في:

عدم إبراز الأغراض البلاغية والتفسيرية لظاهرة عطف الخاص على العام في السور الواقعة من النجم إلى التحريم، مع غياب دراسة تجمع بين نقل نصوص المفسرين وتحليل دلالاتها في ضوء السياق القرآني العام.

ومن ثمّ يسعى البحث إلى سد هذا النقص عبر تحليل تطبيقي متكامل لهذه المواضع، وذلك بالإجابة على الأسئلة التالية:

١. ما المواضع التي ورد فيها عطف الخاص على العام في سورة النجم إلى سورة التحريم؟

٣. كيف تناول المفسرون هذه المواضع؟ وما الدلالات التي أبرزها كل منهم؟

٤. ما أثر هذا العطف في إثراء المعنى، وتعميق الدلالة العقدية والسياقية في الآيات؟

الدراسات السابقة:

١. عطف الخاص على العام " دراسة أصولية تطبيقية". إعداد: د. عبدالله بن أحمد الشريف، مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، العدد:٥، مجلد: ١٦، عام: ٢٠٢٣م، ويهدف البحث إلى دراسة عطف العام على الخاص دراسة أصولية فقهية.

بينما هذا البحث يهتم بدراسة عطف الخاص على العام دراسة تفسيرية.

٢. عطف الخاص على العام في القرآن الكريم، إعداد: خلود عبد الله المالكي، مجلة كلية الشريعة والقانون بتفهنا الأشراف، دقهلية، الإصدار الأول، العدد: ٢٤، عام: ٢٠٢٢م ، اهتم البحث بالجانب النظري التأصيلي.

ويظهر الفرق بينه وبين هذا البحث في كون هذا البحث يهتم بجانب الدراسة النظرية الموجزة، وبالجانب التطبيقي على بعض السور.

٣. كما نوقشت عدد من رسائل الماجستير المشابهة في جامعة جدة، ومنها:

- عطف الخاص على العام في القرآن الكريم وأثره في إثراء المعنى –جمع ودراسة من بداية سورة الأنعام إلى نهاية سورة النمل– ، إعداد: هوازن عمر عمران دهيثم، نوقشت عام: ٢٠٢٢م.
- عطف الخاص على العام في القرآن الكريم وأثره في إثراء المعنى –جمع ودراسة من بداية سورة القصص إلى نهاية سورة محمد–، إعداد: نسيبه محمد عواد الجهني، نوقشت عام: ٢٠٢٢م.

ويظهر من هاتين الرسالتين أنهما تناولتا في الجانب التطبيقي سورًا مختلفة عن السور التي يتناولها هذا البحث.

منهج البحث:

سيتبع البحث المنهج الاستقرائي: لاستقراء جميع المواضع التي ورد فيها عطف الخاص على العام التي اتفق عليها المفسرون أو ترجحت لديهم.

والمنهج التحليلي: لتحليل دلالات النص القرآني البلاغية والسياقية.

والمنهج الوصفي: لتمييز صور الخاص والمعطوف عليه العام، وبيان أثره في إثراء المعنى القرآني.

وقد سار البحث على المنهجية العلمية التالية:

١–كتابة الآيات القرآنية بخط المصحف العثماني مع إيراد اسم السورة ورقم الآية في المتن بعد الآية مباشرة.

٢-تخريج الأحاديث النبوية، مع ذكر الحكم عليها إن كانت في غير الصحيحين، وذلك بذكر اسم المخرج وكتابه، فالكتاب والباب، فرقم الحديث، فرقم الجزء والصفحة.

٣-توثيق النقول العلمية بعزوها إلى مصادرها في الحاشية، وذلك بذكر اسم الكتاب كاملًا مع اسم مؤلفه ورقم الجزء والصفحة.

٤-إن كان النقل نصًا يكتفى بذكر اسم المرجع في الهامش، وإن كان بالمعنى أو بتصرف أشير لذلك قبل ذكر اسم المرجع بكلمة (ينظر).

٥-الرجوع إلى المصادر الأصلية في البحث ما استطعت إلى ذلك سبيلًا.

خطة البحث:

قسم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: واحتوت على أهمية البحث، وأهداف البحث، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

المبحث الأول: أسلوب العطف في القرآن الكريم ودلالاته البيانية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم العطف وأنواعه.

المطلب الثاني: أسلوب العطف في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: عطف الخاص على العام، مفهومه وشروطه وأغراضه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم عطف العام على الخاص، وشروطه.

المطلب الثاني: الأغراض التفسيرية والإعجازية البيانية لأسلوب عطف الخاص على العام.

المبحث الثالث: الدراسة التطبيقية: وتحتوي على دراسة عطف الخاص على العام في السور التالية: النجم والرحمن والتغابن والمجادلة والتحريم.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

ثم فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول: أسلوب العطف في القرآن الكريم ودلالاته البيانية

المطلب الأول: مفهوم العطف وأنواعه:

لقد أولى علماء العربية –من نحاة ومفسرين وبلاغيين وأصوليين– بابَ العطف عنايةً بالغة، إذ يعدّ من المباحث التي يتداخل فيها النحوي بالدلالي والبلاغي، ويتأسس عليه فهم كثير من معاني الخطاب القرآني. فأسلوب العطف ليس مجرد مشاركةٍ في الإعراب، بل هو أداة فاعلة في توجيه المعنى، وتحديد العلاقة بين الجمل، ورفع الإبهام، وإظهار المقاصد البلاغية.

ومن هنا، تأتي دراسة العطف في هذا البحث؛ لإبراز دوره في إثراء المعنى القرآني، بعيدًا عن التفريعات النحوية الدقيقة التي لا تعلق لها بالمقصد البلاغي والتفسيري.

العطف في اللغة:

يدور أصل مادة (عطف) في اللغة على الرجوع والميل والثني.

قال ابن هشام: "العطف في اللغة الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه". (١)

وقال ابن منظور: "عَطَفَ الشيءَ عَطْفًا: حناه وأماله... وعطف فلانٌ إلى ناحية كذا: مال إليها... والعطف: ثني الشيء على الشيء". (٢)

وهذا الاضطراد بين معاني الثني والرجوع والميل يهيئ لاستعمال المصطلح في العربية على جهة الربط والعودة للكلام الأول من خلال الثاني.

العطف في اصطلاح النحاة:

عرّف بأنه: " الاشتراكُ في تأثيرِ العامل. وأصلُه المَيْلُ، كأنّه أُميل به إلى حَيّزِ الأوّل".(٣)

وعبر عنه ابن هشام بقوله: "هو تابع يتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف الخاصة". (٤)

ويتضح من هذه التعريفات أن العطف في الاصطلاح ينقل معنى الميل في اللغة إلى معنى الاشتراك والربط في التركيب، على وجهٍ تتجلى فيه فاعلية الحرف في البناء النحوي والبياني.

---

(١) شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام، ٢٩٧.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ٩/ ٢٤٩.

(٣) شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش، ٢/ ٢٧٦.

(٤) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، ١٩٧/١

أنواع العطف:

استقرت كتب النحو على أن للعطف نوعين رئيسين:

١. عطف البيان.

٢. عطف النسق (العطف بالحرف). (١)

وهما وإن اشتركا في اللفظ، إلا أن بينهما فرقًا في المعنى والوظيفة، وسيأتي بيان ذلك.

أولًا: عطف البيان:

"حقيقة عطف البيان هو: تابع موضِّح أو مخصص جامد غير مؤول".

وعطف البيان كالنعت والتأكيد في إعرابهما وتقديرهما وما يجري عليه، وسمي عطف البيان ولم يطلق عليه نعت؛ لأنه اسم غير مشتق من فعل، ولا هو تحلية، ولا ضرب من ضروب الصفات فعدل النحويون عن تسميته نعتًا، وسموه عطف البيان لأنه للبيان، جيء به وهو مفرق بين الاسم الذي يجري عليه وبين ما له مثل اسمه. (٢)

ثانيًا: عطف النسق -وهو محل الدراسة-:

"تابع يتوسط بينه وبين متبوعه حرف من حروف عشرة، كل منها يسمى: حرف العطف، ويؤدي معنى خاصًّا". (٣)

وأصل "النسق" الترتيب على نسَقٍ واحد، وهو ما يبرز ربط الكلام بعضه ببعض، لتؤدي الجملة الثانية معنى متصلاً بالأولى.

والحروف العاطفة: منها حروف متفق على عطفها، وهي: الواو، الفاء، ثم، أو، بل، لا.

وحروف مختلف فيها وهي: لكن، إمّا، حتى، أم.

ومعانيها على النحو التالي:

الواو: هي أصل باب العطف، ومعناها مطلق الجمع دون تقييد بترتيب أو تعقيب. ولا يُفهم منها ترتيب، إلا بقرينة خارجة عن ذات الحرف.

---

(١) أساليب العطف في القرآن الكريم، مصطفى حميدة، ١٠.

(٢) ينظر الأصول في النحو، ابن السراج، ٢/ ٤٥.

(٣) النحو الوافي، عباس حسن، ٣/ ٥٥٥.

ولذلك كانت الواو أســـاس عطف الخاص على العام، والعام على الخاص، لأنها أوســـع الحروف دلالة وأشملها.

الفاء: تفيد الترتيب والتعقيب.

ثم: تفيد الترتيب مع التراخي.

أو: تفيد التخيير أو الإباحة أو الشك بحسب السياق، وقد تشارك الواو في الجمع عند وجود قرينة.

بل: تفيد الإضراب الانتقالي أو الإبطالي، وتُستعمل في تقوية المعنى أو تصحيح المقصود.

لا: تفيد نفي الحكم عن الثاني بعد ثبوته للأول، ولا ترد في القرآن عاطفة على الراجح.(١)

لكن العاطفة: تفيد الاستدراك.

إمّا العاطفة: بمعنى: أو، وأنها تشـــاركها في خمســـة من معانيها، وهي: التخيير والإباحة والشك والإبهام والتفصيل.

حتى العاطفة: كمال معنى الغاية.

أم العاطفة: وهي أم المتصلة وتنحصر في قسمين، قسم مسبوق بهمزة التسوية، ولا تعطف فيه إلا الجمل التي هي في حكم المفرد، وقسم مسبوق بهمزة استفهام يُطالب بها وبأمْ التعيين، وتعطف فيه المفردات حينًا والجمل حينًا آخر، أو المفرد والفعل. (٢)

ولهذه الحروف أثر في المعنى حيث يقرر ابن هشـــام أن اختلاف الحرف اختلافٌ في المعنى بالضرورة، لأن الحرف «يدل على معنى في غيره»(٣).

وتتجاوز دلالة عطف النســـق مســـتوى اللفظ إلى المعنى، إذ تتحدد علاقة المعطوف بالمعطوف عليه وفق السياق والغرض البلاغي. ومن هنا تتأسس أهمية دراسة العطف في القرآن؛ لأن تغاير الحرف يغيّر جهة الدلالة، وقد يبني المفسر عليه حكمًا عقديًا أو فقهيًا.

---

(١) ينظر همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، ١/٢٠٥. ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام ، ١/٢٠٩. ومعاني القرآن، الفرّاء، ١/٢٥٤. ومعاني القرآن، الزجاج، ١/٢٥٧. والكشاف، الزمخشري، ١ /١٨٢.

(٢) ينظر الكافي شرح أصول البزودي، السِّغْنَاقي ، ٢/ ٩٢١، ٩٥٢. والنحو الوافي، عباس حسن، ٣/ ٥٩٣، ٦١٢.

(٣) ينظر شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام ، ٤٥.

ولذلك كان علم العطف من أبواب اللغة التي يتداخل فيها النحو بالبلاغة، ويتكئ عليها التفسير، ويستقيم بها الفقه.

المطلب الثاني: أسلوب العطف في القرآن الكريم:

أسلوب العطف في القرآن من الأساليب البليغة الجامعة بين الإيجاز والإطناب، إذ تُضمّن صيغة العطف الكثير من المعاني التي لا حصر لها في بيان العلاقة والرابطة بين المتعاطفين.

ومن أساليب الإطناب عطف الخاص على العام، وهو من أبرز صور العطف القرآني، يندرج ضمن الإطناب؛ لما يقدمه من: إبرازٍ للخاص ورفع شأنه، وإظهار لمزية معنوية أو قيمة بلاغية متصلة بالسياق، ودلالة على التنبيه والتقرير.

يحقّق العطف القرآني، بما فيه عطف النسق وعطف البيان وعطف الخاص على العام، مظاهر من الإعجاز، أهمها: الإحكام في الربط بين أجزاء الآية أو الجملة، والاتساق الداخلي للمعنى مع الاقتصاد اللفظي، وبروز دلالات دقيقة لا تتحصل لولا هذا الأسلوب.

وبذلك يظهر أنّ العطف القرآني ليس مجرد تركيب نحوي، بل نسق بيانيّ متكامل، تنعكس من خلاله قدرات العربية في توليد المعاني ورسم صور البيان. (١)

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٣٨٢.

المبحث الثاني: عطف الخاص على العام، مفهومه وشروطه وأغراضه

المطلب الأول: مفهوم عطف الخاص على العام، وشروطه:

يُعدّ عطف الخاص على العام أحد الأساليب البيانية في العربية والقرآن، ويقوم على ذكر العام أولًا، ثم عطف الخاص عليه، مع كون العام شاملاً للخاص من جهة المفهوم؛ لغاية بلاغية.

والمراد بالعام في اللغة: الشمول، يقال: "عَمَّهم الأمر يَعمُّهم عُمُوما: شملهم، يقال: عَمَّهم بالعطية. والعامة: خلاف الخاصة".(١)

وفي الاصطلاح: هو "لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر".(٢)

أما المراد بالخاص في اللغة: فهو الإفراد والانفراد بالشيء، يقال: "خَصَّهُ بِالشَّيْءِ يخُصّه خَصّاً وخُصوصاً وخَصُوصِيّةً وخُصُوصِيّةً، والفتح أفصح، وخِصِّيصَى وخصّصَه واخْتصّه: أفرده به دون غيره. ويقال: اختصّ فلان بالأمر وتَخَصّص له إذا انفرد". (٣)

وفي الاصطلاح: "هو كل لفظ وضع لمعنى معلوم على الانفراد المراد بالمعنى الذي وضع له اللفظ عينًا كان أو عرضًا، وبانفراد اختصاص اللفظ بذلك المعنى".(٤)

و"المراد بالخاص والعام هنا: ما كان فيه الأول شاملاً للثاني".(٥)

أي يكون المعطوف عليه شاملا للمعطوف.

وعطف الخاص على العام أسلوب بياني يُذكر فيه لفظ خاص بعد اندراجه ضمن لفظ عام متقدّم عليه، ويُعطف عليه بحرف العطف -غالبًا بالواو-، والغرض منه: التنويه بالخاص، لا تخصيص العام(٦).

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ١٢/ ٤٢٦.

(٢) الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٣/ ٤٨.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ٧/ ٢٤.

(٤) التعريفات، الجرجاني، ٩٥.

(٥) معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، ١/ ٢٧١.

(٦) ينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٢/ ١٦٦.

وقد يُطلق عليه أيضًا "التجريد"؛ لأنه يُجَرَّد الخاص من بين أفراد العام ليُذكَر باسمه، فيُفاد به التأكيد والاهتمام(١).

وفي عطف الخاص على العام فائدة: وهي "التنبيه على فَضْله، حتى كأنه ليس من جنس العام، تنزيلاً للتَّغَاير في الوصف منزلة التغاير في الذات". (٢)

وشروط عطف الخاص على العام:

١. أن يكون العطف بالواو، لأنها تدل على مطلق الجمع دون ترتيب، ولها سعة استعمالية تتيح إدراج الخاص بعد العام.

٢. أن يكون الخاص ذا مزية أو خصوصية، كأن يكون أشرف أو أخطر أو أكثر تعلقًا بالمقام(٣).

المطلب الثاني: الأغراض التفسيرية والإعجازية البيانية لأسلوب عطف الخاص على العام:

جاء عطف الخاص على العام في القرآن الكريم؛ لتحقيق أغراض تفسيرية، وإعجازية بيانية متعددة، تدور جميعها حول غرض رئيس يتمثل في: التوكيد والتنبيه والاهتمام بالمعطوف الخاص، ثم تتنوع الأغراض التفصيلية حسب المقام والسياق.

قال السيوطي: وفائدته التنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنس العام؛ تنزيلًا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات(٤).

ومن أبرز الأغراض التفسيرية والإعجازية البيانية لأسلوب عطف الخاص على العام في القرآن الكريم ما يلي:

١. الاهتمام والتشريف: وذلك بإبراز الفرد الخاص بعد شموله ضمن العام، تنويهًا بشأنه وتكريمًا له، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

(١) ينظر الكليات، الكفوي، ، ٦٠٨. والبرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٢٨٣.

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، ١/ ٢٧١.

(٣) ينظر تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور، ١/ ١٥٠.

(٤) ينظر الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٣/ ٢٤٠.

وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ﴾ [الأَحْزَاب : ٦] ، حيث تم التنويه بالمهاجرين بعد شمولهم ضمن المؤمنين؛ لما لهم من فضل(١).

٢. إزالة الإبهام ورفع التوهم: حيث يُذكر الخاص لرفع احتمال ظنّ عدم دخوله ضمن أفراد العام، كما في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: ٩٨]، فذكر جبريل وميكال بعد إدراجهما في عموم الملائكة لرفع شبهة من عاداهم(٢).

٣.تقوية الحكم وتأكيده بالتنصيص على فرد منه، كما في قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فإن ذكر الصلاة الوسطى بعد إدراجها ضمن عموم الصلوات فيه مزيد عناية بها وتأكيد لفضلها(٣).

٤. بيان اختلاف مرتبة الخاص عن العام: فقد يكون الخاص أحقر أفراد العام أو أعظمهم، فيُذكر لتقرير هذه المرتبة، وذلك بحسب سياق الآية وموضوعها، وهو ما يتضح من تباين أغراض التوكيد.

٥. الإطناب البياني المقصود به التفصيل بعد الإجمال: إذ يُعد عطف الخاص على العام من صور الإطناب، وذلك بالتنصيص على ما هو داخل ضمن العموم للتوكيد والإيضاح، ويُعبّر عنه أحيانًا بالتجريد، لأنه يفصل الفرد الخاص ويجرده من العام إظهارًا لفضله أو مزيّته(٤).

فهذا الأسلوب من الأساليب التي جاءت في النظم القرآني ليجمع بين الإيجاز والإطناب في آنٍ واحد، من خلال صياغة موجزة تحتمل معاني متعددة، وهذا من بلاغة القرآن وإعجازه.

(١) ينظر الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢/ ١٢٤.

(٢) ينظر تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور، ١/ ٤٠٤.

(٣) ينظر الكشاف، الزمخشري، ١/ ٣٩٨.

(٤) ينظر الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٣/ ٢٤٠.

المبحث الثالث: الدراسة التطبيقية: وتحتوي على دراسة عطف الخاص على العام في السور التالية: النجم والرحمن والتغابن والمجادلة والتحريم.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النَّجم : ١ - ٢]

العام:

قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ﴾

الضلال: يَدُلُّ عَلَى ضياع الشيء وذهابه في غير حقة، وكل جائر عن الحق ضال، والضلال: ضدُّ الرشاد.(١)

قال الراغب الأصفهاني: " الضلال: العدولُ عن الطّريق المستقيم، ويضادّه الهداية...ويقال الضَّلَالُ لكلّ عدولٍ عن المنهج، عمدا كان أو سهوا، يسيرا كان أو كثيرا". (٢)

والمراد به في الآية: ما عدل النبي ﷺ عن طريق الحق الذي هو مسلك الآخرة لكونه عليه الصلاة والسلام على الصواب في اعتقاداته وأقواله وأفعاله وأخلاقه. (٣)

الخاص:

قوله تعالى: ﴿وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾

الغَيّ: "وهو خلاف الرُّشْد، والجهل بالأمر، والانهماك في الباطل".(٤)

"وهو جهل من اعتقاد فاسد، وذلك أنّ الجهل قد يكون من كون الإنسان غير معتقد اعتقادا لا صالحا ولا فاسدا، وقد يكون من اعتقاد شيء فاسد، وهذا النّحو الثاني يقال له غَيٌّ".(٥)

---

(١) ينظر معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣/ ٣٥٦. والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٥/ ١٧٤٨.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ٣٠٩.

(٣) ينظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ١٤/ ٤٥.

(٤) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤/ ٣٩٩.

(٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ٦٢٠.

والمراد به في الآية: "وما اعتقد باطلا قط لأن الغي الجهل مع اعتقاد فاسد وهو خلاف الرشد فيكون عطف هذا على ما ضَلَّ من عطف الخاص على العام اعتناء بالاعتقاد".(١)

فالغي يقصد به الضلال الخاص بالاعتقاد وعطف على الضلال العام في الاعتقادات والأقوال والأعمال والأخلاق للتنبيه على أهمية الاعتناء بالاعتقاد، وللتأكيد على نفى الله تعالى عن نبيّه ﷺ نوعَي الانحراف جميعًا: الضلال في العلم والاعتقاد والغيّ في السلوك والعمل، فجاء هذا الأسلوب في أعلى درجات البلاغة والإحكام.

أثر عطف الخاص على العام:

- التأكيد على كمال عصمة النبي ﷺ:

فقد جاءت الآيات مخبرة بالنفي الشامل للضلال عنه ﷺ ثم النفي الأخص عن الغي، ليؤكد القرآن الكريم على أن النبي ﷺ لم يجانب الصواب لا في أقواله ولا أفعاله ولا أخلاقه الظاهرة، ولا في معتقداته الباطنة، مما يدل على كمال عصمته وتنزيهه عن الخطأ والهوى.(٢)

يقول الألوسي رحمه الله: "ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ أي ما عدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الآخرة فهو استعارة وتمثيل لكونه عليه الصلاة والسلام على الصواب في أقواله وأفعاله وَما غَوى أي وما اعتقد باطلا قط لأن الغي الجهل مع اعتقاد فاسد وهو خلاف الرشد فيكون عطف هذا على ما ضَلَّ من عطف الخاص على العام اعتناء بالاعتقاد، وإشارة إلى أنه المدار".(٣)

فجاء العطف في قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ لتقرير مبدأ العصمة النبوية في أسمى صوره، إذ اجتمع في هذا التركيب نفي الضلال والغيّ معًا، وهما جناحا الانحراف في الفكر والسلوك. فالضلال يختصّ بفساد التصوّر والعقيدة، والغيّ بفساد الإرادة والعمل،

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ١٤/ ٤٥. وينظر حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الهرري، ٢٨/ ١٠.

(٢) ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٢٢/ ٨. وحدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الهرري، ٢٨/ ١٠.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ١٤/ ٤٥.

ونفيهما جميعًا يقتضي كمال العصمة في جانبي العلم والعمل على حدّ سواء، ويحقّق إحاطةً تامّة بنفي كلّ صور الانحراف عن الرسول ﷺ، علميًّا وعمليًّا، اعتقاديًّا وسلوكيًّا، وهذا إحكامٌ بلاغيّ يقصد الإحاطة التامّة بكلّ ما يمكن أن يُتوهَّم من نقصٍ أو خطأ في شخص النبي ﷺ، بل هو في أفعاله وأقواله على الصراط المستقيم، مهتدٍ بهدي الله، محفوظٌ بعنايته، مؤيَّدٌ بوحيه.(١)

- الدقة في نفي أنواع الانحراف:

تميّز هذا التركيب القرآني بغاية الدقّة في نفي الانحراف عن النبي ﷺ من جميع وجوهه، فجاء الأسلوب مؤسَّسًا على اختيار فعلين مختلفين في المعنى والدلالة هما ﴿ضَلَّ﴾ و ﴿غَوَىٰ﴾ ، ليغطي النفي كافّة مجالات الانحراف الممكنة في الفكر والسلوك، فالضلال هو عدم الاهتداء إلى الطريق الصحيح لانصراف العقل عن إدراك الحقّ، أو الخطأ في طريق الهداية من جهة العلم والتصوّر، بينما الغي هو نوع محدد من الضلال ينشأ عن فساد في الاعتقاد أو الجهل مع الهوى، وبنفي الضلال نفى الله تعالى عن نبيّه ﷺ كلّ خطأٍ معرفيّ أو انحرافٍ في الاعتقاد، وبنفي الغيّ نفى عنه الانحراف العملي أو السلوكي، فعطفهما يفيد نفي جميع أنواع الانحراف الممكنة، سواء كانت خفية أو ظاهرة.(٢)

يقول ابن كثير: " وهو الشهادة للرسول ﷺ بأنه بارّ راشد تابع للحق ليس بضال، وهو الجاهل: الذي يسلك على غير طريق بغير علم، والغاوي: هو العالم بالحق العادل عنه قصدا إلى غيره، فنزه الله رسوله وشرعه، عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود. وعن علم الشيء وكتمانه، والعمل بخلافه، بل هو صلوات الله وسلامه عليه وما بعثه به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد،". (٣)

جاء هذا النسق على غاية الإيجاز والإحكام، إذ جمع بين نفيين قصيرين في اللفظ، عظيمين في المعنى، يحتضنان كلّ ما يمكن أن يخطر من احتمالات النقص في جانب الرسالة

(١) ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٥/ ١٥٧.

(٢) ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٥/ ١٥٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٤١١.

والعقل والسلوك. فهو بناء بيانيّ بالغ الدقّة، أُريد به بيان الكمال التام في شخصية الرسول ﷺ، وترسيخ يقين السامع بأنّ ما يبلّغه إنّما هو عن بصيرةٍ ويقينٍ واستقامةٍ مطلقة.

- الرد على مزاعم الكفار.

جاءت هذه الآية الكريمة في سـياقٍ جدليّ بليغ يواجه حملات التشـكيك التي أطلقها المشركون ضدّ الرسول ﷺ، فقد كانت قريش تتهم النبي ﷺ بالضلال والكهانة والجنون، فنفى الله عنه هذه التهم بألفاظ دقيقة وشاملة، لقطع دابر أي شبهة أو تأويل لادعاءاتهم.(١)

فابتدأ الخطاب بوصف النبي ﷺ بـ «صاحبكم»؛ تنبيهًا لهم على أنّه ليس غريبًا عنهم، بل هو من عرفوه صـدقًا وأمانةً قبل البعثة، فإضـافته إليهم تُذكّر بسـيرته بينهم وتُبطل كلّ دعوى لاحقةٍ بالكذب أو الوهم. ثمّ جاء النفي بـ ﴿مَا ضَلَّ﴾ و ﴿مَا غَوَىٰ﴾ لإزالة كلّ شبهةٍ في أصل الرسالة ومصدرها، فهو ليس بضالٍّ في فكره كما يزعمون، ولا غاوٍ في قصده كما يتوهّمون، بل مهتدٍ في علمه، راشدٌ في فعله، يسير على هدى الوحي لا على هوى النفس.

قال ابن عاشور رحمه الله: " وإيثار التعبير عنه بوصف ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ تعريض بأنهم أهل بهتان إذ نسبوا إليه ما ليس منه في شيء مع شدة اطلاعهم على أحواله وشؤونه إذ هو بينهم في بلد لا تتعذر فيه إحاطة علم أهله بحال واحد معين مقصود من بينهم".(٢)

إنّ هذا الأسـلوب القرآني جمع بين التفنيد العقلي والبيان البلاغي، فالعطف بين الفعلين أبرز شمول النفي من جهة العلم والعمل، فأسقط كلّ احتمالٍ بأن يكون النبي ﷺ قد ضلّ عن الحق في تلقي الوحي أو غوى باتباع هوى في تبليغه. وبذلك صـارت الآية بمثابة برهانٍ قاطعٍ على صـدق الرسـالة، إذ المخاطبون مذكّرون بصـحبته من جهة، ومؤكّدٌ لهم براءةُ النبي ﷺ من جهةٍ أخرى، وهذا التنويع في الأسـلوب يحمل في طيّاته أسـلوب تقريعٍ رفيعٍ، إذ يُحيلهم إلى شهادتهم بصدقه وأمانته، ثمّ يُقيم عليهم الحجة بلسانٍ بيّنٍ لا مجال فيه للإنكار.

---

(١) ينظر البحر المحيط ، أبو حيان، ١٠/ ٩. وتحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور، ٢٧/ ٩٢.

(٢) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور، ٢٧/ ٩٢.

- بيان أن ما جاء به ﷺ هو الحق المطلق.

العطف يشير إلى أن مصدر هدايته هو الوحي الإلهي، لا اجتهاد شخصي قد يشوبه نقص أو هوى، مما يجعل ما ينطق به حقاً ورشداً كله(١).

عطف النفيين في قوله تعالى ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ ليس غايته مجرّد الدفاع عن شخص النبي ﷺ، بل يتجاوز ذلك إلى تأسيس قاعدة كبرى مفادها أنّ ما جاء به النبيّ ﷺ حقٌّ محض لا يختلط بباطلٍ، وأنّ مصدره وحيٌ إلهيّ منزّه عن كلّ خطأ أو هوى، فحين يُنفى عن الرسول ﷺ الضلال في الفكر والغيّ في السلوك، يثبت بالضرورة أنّ ما يصدر عنه إنما هو الحقّ المطلق الذي لا يتطرّق إليه شكّ أو احتمال باطل. (٢)

قال ابن عاشور رحمه الله: " تنويه بشأن القرآن وتنبيه على مناط اهتدائه عليه الصلاة والسلام ومدار رشاده كأنه قيل: وما أنزل عليك من القرآن الذي هو علم في الهداية إلى مناهج الدين ومسالك الحق واليقين ما ضَلَّ عنها محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وَما غَوى". (٣)

وبذلك يصبح هذا النفي المزدوج برهانًا بيانيًّا على صدق الرسالة ومصدرها الإلهي؛ لأنّ من انتفت عنه أسباب الزلل في الفكر وأسباب الانحراف في القصد لا يمكن أن يصدر عنه إلا ما هو وحيٌ من عند الله، وأنّ الرسالة المحمديّة تمثّل الحقّ الخالص الموحى به من الله تعالى.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [النَّجم : ٣٢]

العام:

قول تعالى: ﴿ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ ﴾

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٤٤٢.

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٤٤٢.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ١٤/ ٤٥.

الكبائر في اللغة: جمع كبيرة، وهي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شـــرعا، العظيم أمرها.(١)

والمراد بها في الآية: كبائرِ الإثمِ التي نَهَى اللَّهُ عنها وحرَّمها الله تعالى كالشركُ باللَّه.(٢) لقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لُقْمَان : ١٣]. وقيل: هي الشّرك وسائر المعاصي الموبقة، كالزّنا وقتل النّفس المحرّمة، ولذلك قال تعالى في تحريم قتل الأولاد ﴿إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـًٔا كَبِيرٗا ٣١﴾ [الإِسْرَاء : ٣١] ، وقال في تحريم الخمر والميسر: ﴿قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة : ٢١٩] .(٣)

وقيل: هي ما لحق صاحبها عليها بخصوصها وعيد شديد بنص كتاب أو سنة.

وقيل: هي كل ما نص الكتاب على تحريمه، أو وجب في جنســه حدّ، وترك فريضــة تجب فورا .(٤)

والظاهر أن جميع المعاني مرادة، فكل ما سبق يدخل تحت مسمى الكبيرة.

الخاص:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡفَوَٰحِشَ ﴾

والفاحشة في اللغة: ما عظم قبحه من القول والفعل، وجمعها الفواحش. (٥)

والمراد بالفواحش في الآية الكريمة: الفِعْلات التي يعد فعلها متجاوزا الكبائر، مثل: الزنى والسرقة وقتل الغِيلة، أي ما فحش من الكبائر خصوصا.(٦) فعطفه على الكبائر من عطف

(١) ينظر لسان العرب، ابن منظور، ٥/ ١٢٩.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٢٣/ ٦٠.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ٦٩٦.

(٤) ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٥/ ١٦٠. وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ١٤/ ٦٢.

(٥) ينظر لسان العرب، ابن منظور، ٦/ ٣٢٥. و المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ٦٢٦.

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٥/ ١٦٠، وتحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد،

الخاص على العام.[١]

أثر عطف الخاص على العام:

● التشديد على عظم قبح وشناعة الفواحش:

الفواحش هي جزء من كبائر الإثم، وفي إفرادها بالذكر وعطفها على الكبائر بيان على فظاعتها الشديدة وقبحها المتناهي، فجاء عطفها هنا ليؤكد أن قبحها يفوق الكبائر الأخرى.

وقد جاء عطف ﴿ وَٱلۡفَوَٰحِشَ ﴾ على ﴿ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ ﴾ بالرغم من شمول العام لها؛ لإبراز فظاعة هذا النوع من الذنوب وبيان خصوصيّة خطره، فهي تُعدّ من أعظم ما يُسخط الله ويهدم الأخلاق ويُدمّر كيان المجتمع. فإفرادها بالذكر بعد العموم أسلوب بلاغيّ يراد به زيادة التشنيع والتقبيح، لأنّ الفواحش تمثّل ذروة الانحراف الإنساني الذي يناقض الفطرة ويستدعي مقت الله، لما لها من أثر بالغ في تدمير الطهارة الخُلقية والاجتماعية، شدد النكير عليها وأظهر فظاعتها بين سائر الكبائر.

قال أبو حيان رحمه الله: " والذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر، والفواحش معطوف على كبائر، وهي ما فحش من الكبائر، أفردها بالذكر لتدل على عظم مرتكبها".[٢]

فالعطف هنا يحمل دلالة توكيدية وتعظيمية، لأنّ العام إذا عُطف عليه خاصٌّ دلّ على اهتمامٍ خاصٍّ بالخاصّ، وإبرازٍ لمزيّةٍ فيه تستوجب التخصيص. وكأنّ المعنى: اجتنبوا كلّ الكبائر، ولكن إيّاكم والفواحش، فإنّها أغلظها وأشنعها. فبهذا العطف انتقل السياق من التحذير العام إلى التحذير الخاصّ الذي يحمل في طيّاته إنذارًا أشدّ وقعًا على النفس.

● التنبيه على أهمية اجتناب الفواحش:

ابن عاشور/ ٢٧/ ١٢١، وحدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الهرري، ٢٨/ ١٣٩.

(١) ينظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي،١٤/ ٦١. وحدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الهرري، ٢٨/ ١٥٧.

(٢) البحر المحيط ، أبو حيان، ١٠/ ٢٠.

فالآية الكريمة جاءت في سياق مدح المؤمنين وبيان صفاتهم التي تستوجب الأجر العظيم، ومنها اجتناب الفواحش بشكل خاص بعد عموم الكبائر، وفي هذا تنبيهًا بليغًا للمؤمنين على عِظَم خطر الفواحش ووجوب المبالغة في اجتنابها، إذ إنّ مجرّد إدخالها في زمرة الكبائر لم يكن كافيًا في مقام التحذير، فجاء العطف ليخصّها بالذكر، إشارةً إلى أنّ خطرها يتجاوز خطر سائر المعاصي؛ لما لها من أثر استثنائي في فساد الاعتقاد أو العمل أو النفس أو المجتمع، ولما لها من أهمية قصوى ومنزلة خاصة في حفظ الدين.

قال ابن عاشور رحمه الله: " والمراد بكبائر الإثم: الآثام الكبيرة فيما شرع الله وهي ما شدد الدين التحذير منه أو ذكر له وعيدا بالعذاب أو وصف على فاعله حدا... وعطف الفواحش يقتضي أن المعطوف بها مغاير للكبائر، ولكنها مغايرة بالعموم والخصوص الوجهي، فالفواحش أخص من الكبائر وهي أقوى إثما".(١)

ومن الوجه البلاغي، فإنّ هذا العطف يُعدّ من أساليب التنبيه والتخصيص بعد التعميم، وهو من أعظم ما يُحدث التأثير في السامع؛ لأنّ الذهن إذا سمع العام ثم تلاه ذكرُ خاصٍّ، توجّه انتباهه إلى الخاصّ أكثر من سواه، فكان في ذلك تقويةٌ للمعنى وتأكيدٌ لأهميّة الاحتراز منه أشدّ الاحتراز.

- التفخيم والتهويل:

تخصيص الفواحش بالذكر بعد اندراجها في الكبائر يبرز فظاعتها، فذكر الكبائر أولًا يوحي بعِظَم الإثم في ذاته، ثمّ إفراد الفواحش بالذكر بعده يضاعف هذا الإحساس بالهول، لأنّ الذهن ينتقل من العام المهيب إلى الخاصّ الأشدّ قبحًا، فينشأ من هذا الترتيب تصعيدٌ بلاغيّ تدريجيّ يجعل المتلقي يُدرك ضخامة الذنب ومقدار خطره على الدين والأخلاق والفطرة والحياء.(٢)

(١) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور، ٢٧/ ١٢١.

(٢) ينظر تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور/ ٢٧/ ١٢١. والبحر المحيط ، أبو حيان، ١٠/ ٢٠.

كما أنه يفخم أثر الرهبة في النفس؛ لأن تكرار المعنى بتدرج تصاعدي يولد إحساسا بالتفخيم والتهويل، فيدرك السامع ضخامة الذنب وهول عاقبته، فيستيقظ قلبه من الغفلة.

- المبالغة في المدح والثناء:

لا يقتصر العطف في الآية الكريمة على بيان شدّة التحذير من المعصية، بل يحمل في بنيته مبالغة في مدح المؤمنين والثناء عليهم، إذ يدلّ على عظمة مقامهم ورفعة منزلتهم عند الله تعالى. فالمؤمن الذي يجتنب الكبائر وحدها ممدوح، فكيف بمن يجتنب مع ذلك الفواحش التي بلغت الغاية في القبح والفُحش؟!

إنّ تخصيص الفواحش بالذكر بعد العموم يضخّم قيمة الطاعة، ويجعل اجتنابها معيارًا لأعلى مراتب التقوى، فوصف المؤمنين بأنهم يجتنبون كل الكبائر، ثم التأكيد على اجتنابهم لأقبحها، هو نوع من المبالغة في الثناء على طهارتهم وعفتهم وقوة إيمانهم والتزامهم بما يحب الله ويرضى. (١)

قال القرطبي رحمه الله: " هذا نعت للمحسنين، أي هم لا يرتكبون كبائر الإثم وهو الشرك، لأنه أكبر الآثام... والفواحش الزنى".(٢)

فالعطف في الآية الكريمة يُحدِث في السياق نوعًا من التصعيد في المدح، إذ ينتقل الثناء من العام إلى الخاصّ، فيتنامى الإعجاب بخصال الممدوحين تبعًا لتدرّج المعنى، فيصوّر المؤمنين في أبهى صور الطهارة الخُلقيّة.

- **التفريق الدقيق بين أنواع الذنوب:**

يشير العطف إلى وجود فروق دقيقة في التصنيف بين الذنوب الكبائر، فكبائر الإثم قد تشمل ذنوباً مثل السرقة، شرب الخمر، عقوق الوالدين، بينما الفواحش تختص بالذنوب المتناهية في القبح والشناعة كالزنى وهي التي تكون أقوى إثما من الكبائر، فمع أنّ الفواحش مندرجة في

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٤٢٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٧/ ١٠٦.

كبائر الإثم، إلا أنّ إفرادها بالذكر يدلّ على أنّ الذنوب ليست على مرتبةٍ واحدةٍ من القبح أو التأثير، بل تتفاوت في عِظَمها ونتائجها، بحسب ما تخلّفه من فسادٍ في العقيدة أو الأخلاق أو المجتمع.(١)

فكبائر الإثم تشمل كلّ الذنوب العظيمة التي توعّد الله عليها بالعقاب أو رُتِّب عليها حدّ، كالشرك والقتل وأكل الربا والظلم ونحوها، أمّا الفواحش فهي ما بلغ الغاية في القبح والفحش، وخصوصًا ما كان متعلّقًا بالأعراض والشهوات، كالزنا واللواط ونحوهما، أو ما يناقض الحياء والفطرة السويّة. فجاء العطف هنا لتمييز درجات الذنوب، وليُعين المؤمن على فقهها وترتيبها في ميزان الشرع، فليس كلّ كبيرةٍ كالأخرى في أثرها ولا في شدّة حرمتها.(٢)

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرَّحْمَٰن : ٦٨]

العام:

قوله تعالى: ﴿ فَٰكِهَةٌ ﴾.

الفَاكِهَةُ: هيَّ الثّمار كلها.(٣)

الخاص:

قوله تعالى: ﴿وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾.

النخل: مفردها النَّخْلَة: وهي شَجَرَةُ التَّمْرِ.(٤)

والرمان: حَمْلُ شَجَرَةٍ معروفة من الْفَوَاكِه. (٥)

وهما من الفاكهة وإنما عطف عليها النخل والرمان لفضلهما وحسن موقعهما على الفاكهة، اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما، كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران، ولأن النخل

(١) ينظر تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور، ٢٧/ ١٢١.

(٢) ينظر التفسير المنير، الزحيلي، ٢٧/ ١٢٠.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ٦٤٣.

(٤) ينظر لسان العرب، ابن منظور، ١١/ ٦٥٢.

(٥) ينظر المرجع السابق، ١٣/ ١٨٦.

ثمره فاكهة وطعام، والرمان فاكهة ودواء، فلم يخلصـــا للتفكه، وإن كان كل ما في الجنة للتفكه لأنه تلذذ خالص.(١)

أثر عطف الخاص على العام:

- الإبراز والتخصيص لبيان الفضل والمزية:

يُعد هذا الأســلوب من أبرز أســاليب الاهتمام البلاغي، حيث يذكر القرآن الكريم النعم بشـكل عام في لفظ (الفاكهة) الذي يتضـمن جميع أنواع الثمار، ثم يفرد بالذكر نوعين محددين (النخل والرمان)؛ لإبراز فضـلهما ومكانتهما الخاصـة بين أنواع الفاكهة الأخرى، ولما فيهما من لطائف الصنع ودقائق الخلق.

قال البيضاوي رحمه الله: "عطفهما على الفاكهة بياناً لفضلهما".(٢)

فتخصيصـهما يسترعي الانتباه إلى مكانتهما الخاصة وقيمتهما الغذائية والرمزية العالية، مما يؤكد على عظمة الخالق في تنويع نعمه وبيان محاسنها وتفاصيلها الدقيقة. (٣)

- التذكير بالنعمة على وجه التفصيل:

ذكر النعمة بصـيغةٍ عامة يلفت النظر إليها إجمالًا، لكنّ الانتقال بعد ذلك إلى ذكر بعض أفرادها على سبيل التعيين يجعل النعمة أكثر حضورًا وتحديدًا، ويُشعر المتلقي بسعة الإنعام وتنوّع مظاهره.

فبعد أن ذكر تعالى النعمة بشـــكل عام (الفاكهة)، عطف عليها أمثلة محددة (النخل والرمان) لتحقيق التذكير التفصـيلي بالنعم الإلهية وذلك دعوة للمخاطبين للتفكر في خصـوصـية هذه النعم، بدلاً من الاكتفاء بالعموم، فإن في فصـلهما بالواو عن الفاكهة بيانًا لفضـلها على سائر الفواكه، حتى كأنهما من المزيّة جنسان آخران.(٤)

---

(١) ينظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٧/ ١٨٥، والكشاف، الزمخشري، ٤/ ٤٥٣، ومفاتيح الغيب، الرازي، ٣٩/ ٣٨٠.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٥/ ١٧٥.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي،١٤/ ١٢١.

(٤) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الهرري، ٢٨/ ٣٣٦.

وبهذا التفصيل تتعمّق صورة النعمة في الأذهان، فيتبيّن له نوعها وشكلها وقيمتها، لأن التفصيل بعد الإجمال يزيد أثر الامتنان وضوحًا، ويجعل النعمة أشد استحضارًا وأقرب إلى الشعور.

- الربط بين الجمال والمنفعة:

النخل والرمان هما من أجمل وأكثر الأشجار فائدة، حيث يجمعان بين الجمال الظاهري (خضرة النخيل وبهاء الرمان) والمنفعة الغذائية والدوائية، وعطفهما على الفاكهة بشكل عام يبرز هذا الجمع الفريد بين الجمال والمنفعة، ويؤكد أن نعيم الجنة يجمع بين متعة المنظر وطيب المأكل، كما هو الحال في النخل والرمان. (١)

قال الطبري رحمه الله: " ذكر الفاكهة ثم ذكر النخل والرمان لعمومهما وكثرتهما عندهم من المدينة إلى مكة إلى ما والاها من أرض اليمن، فأخرجهما في الذكر من الفواكه وأفرد الفواكه على حدتها. وقيل: أفردا بالذكر لأن النخل ثمره فاكهة وطعام، والرمان فاكهة ودواء". (٢)

وبذلك يتّضح أن العطف هنا لا يكتفي بمجرد تعداد الثمار، بل يعمّد إلى إبراز ثمارٍ تمتاز بجمال المشهد وحسن المنظر، وفي الوقت نفسه تُعدّ من أثمر ما ينتفع به الناس، فيلتقي الجماليّ بالنفعيّ في صورةٍ واحدة تُعزّز أثر الامتنان وتزيد قوةَ التصوير وعمق المعنى.

- تعظيم نعم الله تعالى وتقديرها:

عطف الخاص على العام في هذه الآية تعظيم لنعم الله تعالى العامة والخاصة ورفع لمنزلتها في أذهان المخاطبين، حيث يرى المؤمن أن الله تعالى لم يكتف بذكر الفواكه بشكل عام على كثرتها وتنوعها، بل خص بعضها بالذكر اعتناءً بها، مما يزيد من وقعها في النفس.(٣)

قال الطبري رحمه الله: " فإن قيل لنا: فكيف أعيدا وقد مضى ذكرهما مع ذكر سائر الفواكه؟ قلنا: ذلك كقوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البَقَرَة : ٢٣٨] .

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ، ٣٩/ ٣٨٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٧/ ١٨٦.

(٣) تهذيب اللغة، الأزهري، ١٥/ ١٥٦.

فقد أمرهم بالمحافظة على كل صلاة، ثم أعاد العصر تشديدا لها، كذلك أعيد النخل والرمان ترغيبا لأهل الجنة.(١)

فالتفصيل بعد الإجمال يفعّل الوجدان بشكل أعمق من مجرد العرض المجمل، فيتولد عن ذلك امتنان حقيقي نابع من رؤية النعمة وهي تُذكر بعينها، وتُنقل من العموم إلى التعيين. وبهذا الأسلوب يربّي القرآن في النفس شعور الشكر، ويُنمّي فيها الوعي بعظمة الإنعام الإلهي.

الموضع الرابع: قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤﴾ [التَّغَابُن : ٤]

العام:

قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾

يشمل هذا الإخبار بكلّ ما تتسع له السماوات، وما تضمه الأرض من موجودات، وظواهر، ومخلوقات، وأسرار.

الخاص:

قوله تعالى: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ﴾

السِّرُّ: "هو الحديث المكتم في النّفس".(٢)

والعَلَانِيَةُ: "ضدّ السّرّ". (٣)

ذكر خاص داخل تحت دائرة العلم الأول، لكنه جاء على سبيل التفصيل والإبراز، ليبيّن أن علم الله لا يقتصر على إدراك الظواهر الكبرى الكونية، بل ينفذ كذلك إلى أدقّ دقائق شؤون الإنسان، من سرائر وخواطر وأعمال ظاهرة.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري،٢٢/ ٢٦١.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ٤٠٤.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ٥٨٢.

فنبه سبحانه وتعالى بعلمه العام لما في السموات والأرض ثم بعلمه بما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلم بذات الصدور على أن شيئاً من الكليات والجزئيات غير خاف عليه سبحانه وتعالى فحقه أن يتقى ويحذر ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه. (١)

أثر عطف الخاص على العام:

- التأكيد على شمولية العلم الإلهي:

تقرر الآية الكريمة إحاطة الله تعالى التامّة بكل ما يكون في الكون وفي الإنسان معًا، فالجملة الأولى تُقرّر علمًا كليًا شاملًا لجميع المخلوقات العلوية والسفلية، وهو أوسع ما يُتصوَّر من العموم، ثم أعقب هذا العموم بتفصيلٍ دقيق يمسّ الإنسان في خفاياه وعلانيته، فصار الخاصّ مبيّنًا لدرجة الإحاطة التي لا يستثنى منها شيء في عالم كبير، ولا في نفس صغيرة.

فتقديم الإحاطة الكلية بعلم الله، الذي يشمل ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ثم عطف عليه على وجه الخصوص ﴿مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ﴾ وهو جزء من ذلك العلم العام لتعزيز وإبراز دلالة الشمول والكمال والتفصيل الذي يغطي أدق الجزئيات وأخفى الأمور، مما يضاعف من وقعه في نفس المخاطب.

قال الرازي رحمه الله: "نبه بعلمه ما في السموات والأرض، ثم بعلمه ما يسره العباد وما يعلنونه، ثم بعلمه ما في الصدور من الكليات والجزئيات على أنه لا يخفى عليه شيء لما أنه تعالى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة البتة أزلا وأبدا".(٢)

وهذا الأسلوب البلاغي له أثر شديد القوة؛ لأنّ السامع قد يُدرك عموم العلم الإلهي، لكن يُعيد القرآن تفصيل ذلك العموم بذكر السرّ والعلانية ليؤكّد شمولية العلم وتوغّله في أدقّ دقائق الإنسان، فيتبدد كلّ توهّم قد يقع في النفس بأن شيئًا من الخواطر أو النيات أو الأعمال الخفية يخرج عن علم الله تعالى.

- التحذير والوعيد من مخالفة أوامر الله تعالى:

(١) ينظر مدارك التنزيل وحقائل التأويل، النسفي، ٣/ ٤٩١.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ، ٣٠/ ٥٥٢.

عطف الخاص على العام في الآية الكريمة يهدف إلى زيادة الشعور بالرقابة الإلهية الدائمة، مما يردع الإنسان عن ارتكاب المخالفات، سواء كانت في الخفاء أو العلن، [١] ويحمل في طيّاته تحذيرًا شديدًا من مخالفة أوامر الله تعالى؛ لأن الانتقال من بيان العلم الإلهي العام الواسع إلى التفصيل الدقيق في سرائر الإنسان وعلانيته يضع المخاطَب أمام حقيقة لا مجال للتغافل عنها، وهي أن كلّ ما يقع من العبد ـظاهرِه وخفيّه واقعٌ تحت رقابة الله تعالى وعلمه الذي لا يندّ عنه شيء.

قال النسفي رحمه الله: "نبه بعلمه ما في السموات والأرض ثم بلعمه بما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه بذات الصدور أن شيئاً من الكليات والجزئيات غير خاف عليه فحقه ان يتقي ويحذر ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد". [٢]

العطف في الآية الكريمة لا يقتصر على بيان الشمول فقط، بل يُوظَّف لإثارة هيبة الرقابة الإلهية، مما يجعل مخالفة الأوامر والنواهي جراءةً على علم الله وحكمته، ويجعل العبد أشدّ حذرًا واتقاءً واستحضارًا لعلم الله بأعماله الشخصية، في حضوره وغيابه، وفي سره وعلانيته، فينشأ من ذلك تحذيرٌ متكررٌ متجددٌ من مخالفة الأمر الإلهي، وتوكيدٌ لوجوب الطاعة والامتثال.

- التأكيد على دقة الحساب والجزاء

الآية تؤكد على مبدأ العدل الإلهي في الحساب، ودقّة الحساب والجزاء يوم القيامة، إذ إنّ الانتقال من العلم الإلهي الشامل للسماوات والأرض إلى تفصيل العلم بسرائر الإنسان وعلانيته يُظهر أنّ كلّ ما يصدر عن العباد واقع تحت دائرة العلم الإلهي، ومن ثمّ فهو داخل في دائرة المؤاخذة والجزاء.

وهذا يُشعر المؤمن بالطمأنينة إلى عدل الله، بينما يُلقي في قلب الكافر الرهبة من الجزاء العادل على كل ما اقترف.[٣]

(١) ينظر مدارك التنزيل وحقائل التأويل، النسفي، ٣/ ٤٩١.

(٢) مدارك التنزيل وحقائل التأويل، النسفي، ٣/ ٤٩١.

(٣) ينظر البحر المحيط ، أبو حيان، ١٠/١٨٩.

قال الألوسي رحمه الله: "والتصريح به مع اندراجه فيما قبله للاعتناء بشأنه لأنه الذي يدور عليه الجزاء".(١)

فالعطف هنا لا يعرض مجرد شمول في العلم، بل يجعله وسيلة قرآنية لإقامة البرهان على كمال العدل الإلهي، ولتربية العبد على الاستعداد للمحاسبة الدقيقة التي لا يُهمل فيها سرّ ولا علن، ولا يغيب عنها خاطر ولا نية.

- ربط التكليف بعلم الله :

عطف ما يسر ويعلن يربط التكليف الشرعي بعلم الله، فالمخلوق مكلف بما في قلبه وما يظهر من أفعاله، وعلم الله بهما هو أساس الجزاء. إذ إنّ بيان العلم الشامل لكل ما في السماوات والأرض، ثم تخصيص ما يُسرّه الإنسان وما يُعلنه، يُنشئ علاقة واضحة بين مقتضى التكليف وبين العلم الإلهيّ المحيط بأفعال المكلَّفين ظاهرها وباطنها.

قال السعدي رحمه الله: "وذكر أنه خلق العباد، وجعل منهم المؤمن والكافر، فإيمانهم وكفرهم كله، بقضاء الله وقدره، وهو الذي شاء ذلك منهم، بأن جعل لهم قدرة وإرادة، بها يتمكنون من كل ما يريدون من الأمر والنهي". (٢)

فبيان العلم الشامل لكل ما في السماوات والأرض، ثم تخصيص ما يُسرّه الإنسان وما يُعلنه، يُنشئ علاقة واضحة بين مقتضى التكليف وبين العلم الإلهيّ المحيط بأفعال المكلَّفين ظاهرها وباطنها.

- الإشارة إلى بطلان عقيدة الشرك:

في سياق الآية التي تتحدث عن قدرة الله وعظمته وكمال علمه، يأتي عطف "ما تسرون وما تعلنون" لبيان أن المخلوقين لا يعلمون الغيب، وأن علم السر والعلن من خصائص الألوهية، فالآية تهدم أيّ تصورٍ لوجود شريكٍ أو ندٍّ يُدبّر، أو يعلم، أو يستحق العبادة، وتؤكد أن علم السر والعلن لله وحده، مما يعزز عقيدة التوحيد. (٣)

---

(١) ينظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي،١٤/ ٣١٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ٨٦٦.

(٣) ينظر حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الهرري، ٢٩/ ٣٦٣.

قال ابن عاشور رحمه الله: "دحضا لشبهتهم، أي أن الذي يعلم ما في السماوات والأرض لا يعجزه تفرق أجزاء البدن إذا أراد جمعها، والذي يعلم السر في نفس الإنسان، والسر أدق وأخفى من ذرات الأجساد المتفرقة، لا تخفى عليه مواقع تلك الأجزاء الدقيقة". (١)

فالعطف البلاغيّ يقصد إلى هدم فكرة الشرك من أساسها، إذ يرتفع في الآية وصفٌ إلهيٌّ جامعٌ لشمول العلم وتمام الإحاطة، يرتقي بالمتلقي إلى إدراك أنّ من كان كذلك لا يصح في العقل ولا في الفطرة أن يشرك به أو يُجعل له ندّ أو شريك.

- تنبيه المؤمن إلى أن الله محصٍ لأعماله:

تخصيص ما يُسَر ويُعْلن بالذكر بعد علم الله عز وجل العام يأتي ليؤكد أن الله مطلع ومحصٍ لجميع أعمال الإنسان وسيحاسبه عليها يوم القيامة، مما يذكّر المؤمن بأن كل قول وفعل، سواء كان في السر أو في العلن، مسجل ومحفوظ عند الله، فيدفعه ذلك إلى الاستقامة والخوف من الحساب.(٢)

قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره لعباده: احذروا أن تسروا غير الذي تعلنون، أو تضمروا في أنفسكم غير الذي تبدونه، فإن ربكم لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو محص جميعه، وحافظ عليكم كله". (٣)

فيظهر أن العطف هنا يُراد به الإيقاظ الوجداني للمؤمن، ليُدرك أنّ خطواته وأقواله ونياتِه وأعماله ليست غائبة عن ربّه، وأنه ماثلٌ تحت رقابةٍ إلهية دقيقة تُحصي كل شيء، وتعدّه للعرض يوم الحساب، مما يجعل المؤمن أكثر حياءً من الله، وأشدّ مراقبةً لنفسه، وأقوى محافظةً على حدود التكليف، إذ يشعر أنّ الله مطّلع على عمله في حال السرّ كما في حال العلانية.

الموضع الخامس: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المُجَادلَة : ١١] .

(١) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور، ٢٨/ ٢٦٦.

(٢) ينظر تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور، ٢٨/ ٢٦٧.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٢٣/ ٧.

العام:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾ أي: المؤمنون أهل التصديق بالله ورسوله الملتزمون بطاعته.

الخاص:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ وهم العلماء الراسخون.

تأتي هذه الآية في سياق الحديث عن آداب المجالس، حيث يأمر الله المؤمنين بالتفسح في المجالس والقيام إذا طُلب ذلك، وفي الربط بين آداب المجالس ورفعة العلماء توضيح بأن الرفعة الحقيقية لا تكون بالمكانة الظاهرة في المجلس، بل بالإيمان والعلم والتواضع، فالعالم الذي يتواضع لله يرفعه الله درجات.

"وعطف- الذين أوتوا العلم- على الَّذِينَ آمَنُوا من عطف الخاص على العام تعظيما لهم بعدّهم كأنهم جنس آخر، ولذا أعيد الموصول في النظم الكريم".(١)

أثر عطف الخاص على العام:

- التشجيع على التواضع وشكر الله تعالى :

سياق الآية حول التواضع في المجالس (تفسحوا، انشزوا) يجعل ذكر رفعة العلماء أكثر تأثيرًا، فإفراد العلماء بالذكر بعد عطفها على جميع المؤمنين، يضع أمام المؤمنين معياراً واضحاً للتمييز بين العلم الحقيقي وبين التكبر المذموم.

قال ابن مسعود ﷺ: " مدح الله العلماء في هذه الآية. والمعنى أنه يرفع الله الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات، أي: درجات في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به".(٢)

فالله تعالى حين يرفع أهل العلم درجات، يبين أنّ الرفعة ليست ذاتية ولا مكتسبة بالقوة والجاه، بل هي عطاءٌ إلهي مبني على الإيمان والعمل، وفي ذات الوقت يجعل العالم يعترف بأن

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي،١٤/ ٢٢٣.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٧/ ٢٩٩.

مكانته ليست من جهده وحده، بل من توفيق الله وتيسيره، وهذا بدوره يغرس: تواضعاً علمياً يمنع الغرور ويجنّب العالم الترفع على الناس، وشعوراً دائماً بالمنة الإلهية يدعوه لشكر الله على ما آتاه وأقدره عليه.

فالعطف هنا يعمّق هذا المعنى ويجعله ظاهراً في البناء الخطابي للآية، فالعالم الذي يتواضع في المجلس ويقوم إذا طلب منه، يجمع بين العلم والتواضع، فيزداد رفعة عند الله تعالى وعند رسوله ﷺ وعند الناس، وفي هذا تحريض للعلماء على أن يحمدوا الله على ما آتاهم من فضله، وأن يتواضعوا، ويعتقدوا أن في عباد الله من يفضلهم فيه، وأن هذا التفضيل سبب لمزيد الحمد والشكر لله تعالى، فإن الثناء بقدر الموهبة والعطية.(١)

- التخصيص لتأكيد التفاضل:

من وظائف العطف هنا إبراز أن التفاوت في الدرجات يكون داخل دائرة الإيمان نفسها، فبينما يشترك المؤمنون جميعاً في أصل الفضيلة، إلا أن العلم يزيد صاحبه رفعة وتميّزاً، فالعطف جاء ليثبت أنّ: الرفعة ليست مجرد انتماءٍ عام للإيمان، وأن العلم أساس في زيادة الدرجات، وأن المفاضلة بين أهل الإيمان قائمةٌ على قوة اليقين، وجودة العمل، وعمق العلم.

قال الطبري رحمه الله: " يقول تعالى ذكره: يرفع الله المؤمنين منكم أيها القوم بطاعتهم ربهم فيما أمرهم به من التفسح في المجلس إذا قيل لهم: تفسحوا، أو بنشوزهم إلى الخيرات إذا قيل لهم: انشزوا إليها. ويرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات – إذا عملوا بما أمروا به". (٢)

فجاء عطف العلماء على المؤمنين في الآية الكريمة ليقرّر مبدأً شرعياً مهماً: وهو أن الإيمان أساس للرفعة، ولكن العلم يضيف درجات أعلى لهذه الرفعة، مما يوضح أن التفاضل بين المؤمنين يكون بقدر علمهم وعملهم به، وهذا التفاضل له دلالة على أن الإيمان وحده وإن كان كافيًا للنجاة، فإن العلم يضاعف الأجر والمنزلة.

(١) ينظر حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الهرري، ٢٠/ ٣٩٥.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٢٢/ ٤٨٠.

- التنبيه على شرف العلم وأهله:

عطف فئة محددة من المؤمنين (العلماء) على عمومهم، هو نوع من الثناء البليغ والتنويه بمكانتهم وفضلهم وتقرير شرفهم؛ لأن الخاص إذا عُطف على العام كان في ذلك: تعظيم لشأنهم أمام الأمة، وإظهارا لمكانتِهم بين الناس، وبيانٌ أن العلم ليس مجرد زيادة معلومات بل مقامٌ يرفع الله به صاحبه.

قال ابن عاشور رحمه الله: "لأنهم إذا تمكنوا من مجلس الرسول ﷺ كان تمكنهم أجمع للفهم وأنفى للملل، وذلك أدعى لإطالتهم الجلوس وازديادهم التلقي وتوفير مستنبطات أفهامهم فيما يلقى إليهم من العلم"(١)، وهذا مما يجعلهم قدوة ونموذجًا لبقية المؤمنين في السعي نحو تحصيل العلم.

فكأن القرآن يعلن أنّ العلم هو الوسيلة الشرعية للتمكين والرفعة، وأن شرف العالم لا يُستمدّ من المجتمع، بل من توقير الله له، وأسلوب العطف يُجسّد هذا الشرف بتمييز العلماء داخل جماعة المؤمنين.

- التشجيع والحث على طلب العلم:

الآية تحث المؤمنين على طلب العلم، فعندما يسمع المؤمن أنّ الله تعالى يرفع العلماء درجات، وأن ذكرهم جاء مستقلاً في سياقٍ إلهي، فإن هذا يحمل رسالة ضمنية تحرك النفوس نحو طلب العلم باعتباره سبيلاً للرفعة في الدنيا والآخرة.

فالسامع يدرك أنّ من أراد منزلة عظيمة عند الله، فعليه بسلوك طريق العلم، ولذلك قال النبي ﷺ: "مَنْ سلَكَ طريقاً يَطلُبُ فيه علماً سَلَكَ الله عز وجل به طريقاً من طُرُقِ الجنة، وإنَّ الملائكةَ لتَضَعُ أجنحتَها رضاً لطالبِ العلم، وإنَّ العالم ليستغفِرُ لهُ مَن في السَّماواتِ ومَن في الأرضِ والحيتانُ في جوف الماء، وإن فضلَ العالمِ على العابِدِ كفضل القَمَرِ ليلةَ البدرِ على سائر

(١) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور، ٢٨/ ٤١.

الكواكِبِ، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وإن الأنبياءَ لم يُورِّثُوا ديناراً ولا دِرْهماً، ورَّثُوا العِلْمَ، فمن أخَذَه أخَذَ بحظٍّ وافِرٍ".(١)

فالرفعة عند الله ليست مقتصرة على الإيمان وحده، بل إن طلب العلم الشرعي سبب للزيادة في الرفعة والدرجات عند الله عز وجل، إضافة إلى ما يحصل به من زيادة الإيمان، وهذا الحث عل طلب العلم يجعله من أهم الغايات التي يسعى إليها المؤمن لنيل الدرجات الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى.(٢)

- الترابط الوثيق بين الإيمان والعلم :

لا ينفصل العلم عن الإيمان في الآية الكريمة، بل يعمل العلم على تعميق الإيمان وزيادة اليقين، فالآية تربط بين المؤمنين بشكل عام، وبين من جمعوا بين الإيمان والعلم، مما يدل على أن أفضل أنواع الإيمان هو ما كان مبنيًا على علم، وأن أفضل أنواع العلم هو ما يقوي الإيمان، ولذلك يقتدى بالعالم في أفعاله ولا يقتدى بغيره.

قال البيضاوي رحمه الله: "ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل، فإن العلم مع علو درجته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة، ولذلك يقتدى بالعالم في أفعاله ولا يقتدى بغيره".(٣)

فالآية تجمع بين ركنين أساسيين هما: الإيمان (اعتقاد القلب) والعلم (طلب وعمل)، وتجعلهما معًا سببًا للرفعة، وهذا يؤكد أن الرفعة الكاملة تحصل بالجمع بين الإيمان القائم على اليقين، والعلم الذي يزيد من هذا اليقين ويُثمر عملاً ويؤكد هذا أن الآية الكريمة ختمت بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ .(٤)

---

(١) أخرجه أبو داود بسنده في سننه، كتاب: العلم، باب: الحث على طلب العلم.، حديث رقم: ٣٦٤١، ٥/ ٤٨٥. قال شعيب الأرنؤوط: صحيح بشواهده.

(٢) ينظر مفاتيح الغيب، الرازي، ، ٢٩/ ٤٩٤.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٥/ ١٩٥.

(٤) ينظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٧/ ٢٩٩.

الموضع السادس: قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١﴾ [التَّحۡرِيم : ١١]

العام:

قوله تعالى: ﴿ فِرۡعَوۡنَ ﴾ هو: "علم شخص، ثم صار لقبا لكل من ملك مصر من العمالقة، كما أن كسرى لقب من ملك فارس، وقيصر لقب من ملك الروم، والنجاشي لقب من ملك الحبشة".(١)

والمقصود بفرعون في الآية: "هو الذي أرسل الله إليه موسى عليه الصلاة والسلام، وكان قد استذل بني إسرائيل في مصر، يذبح أبنائهم ويستحيي نسائهم". (٢)

الخاص:

قوله تعالى: ﴿ وَعَمَلِهِۦ﴾ العَمَلُ: كلّ فعل يكون بقصد، وهو أخصّ من الفعل؛ لأنّ الفعل يقع بغير قصد وقد ينسب إلى الجمادات، والعَمَلُ قلّما ينسب إلى ذلك، ويستعمل العَمَلُ في الأَعْمَالِ الصالحة والسّيّئة. (٣)

"وأرادت بعمل فرعون ظلمه، أي: نجني من تبعة أعماله، فيكون معنى نجني من فرعون من صحبته طلبت لنفسها فرجا، وهو من عطف الخاص على العام". (٤)

أثر عطف الخاص على العام:

- بيان البراءة التامة من الكفر والظلم:

عطف الخاص على العام في الآية الكريمة يظهر درجةً عالية من البراءة والانفصال التام عن كل ما يمتّ إلى فرعون ونظامه بصلة، إذ ابتدأت امرأته دعوتها بطلب النجاة من شخص فرعون

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي،٥/ ١٨.

(٢) العثيمين، جزء عم، ١٩٣.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ٥٨٧.

(٤)تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور، ٢٨/ ٣٧٧.

ذاته ومن عمله: ﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾، وهذا يتضـــمّن: التبرؤ من ذاته وبما يمثّله من كِبر وطغيان وكفر، والتبرؤ من عمله بما يشتمل عليه من ظلم واستعباد ومحاربة لدين الله.

كما يؤكد على أن النجاة المطلوبة ليست مجرد النجاة الجسدية من فرعون كشخص، بل النجاة الروحية والعقدية من كل ما يمثله من منهج كفري وظلم عظيم. (١)

قال ابن القيم رحمه الله: " أن اتصـــال المؤمن بالكافر لا يضـــره شـــيئا، إذا فارقه في كفره وعمله. فمعصية الغير لا تضر المؤمن المطيع شيئا في الآخرة وإن تضرر بها في الدنيا بسبب العقوبة التي تحل بأهل الأرض، إذا أضاعوا أمر الله، فتأتي عامة. فلم يضر امرأة فرعون اتصالها به. وهو من أكفر الكافرين".(٢)

وهذا يُرسّخ معنى البراءة الشاملة التي لا تقف عند رفض الشخص وحده، بل تمتدّ لرفض منهجه، ورفض التجمع الذي يلتف حوله ، ليُفهم أن الإيمان الحق لا يجتمع مع أدنى رضًـــا بالكفر والظلم في أي صورة من صورهما.

- الإيجاز للمبالغة في تحقير الشر وأهله:

من خصـــائص التركيب القرآني في الآية الكريمة أنه موجز في ألفاظه، واســـع في معانيه، فالعطف بين الخاص والعام اختصر منظومةً كاملة من الشر في تعبيرات قليلة: ﴿فِرْعَوْنَ﴾: رمز لقمّة الطغيان والاستكبار، ﴿وَعَمَلِهِ﴾: يشمل جميع ما يصدر عنه من الكفر والظلم والبطش، ﴿الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: يشمل كل جماعةٍ تتلبّس بالظلم، من قومه ومن يشابههم في سائر الأزمنة والأمكنة. ولو فُصِّلت هذه المعاني نثرًا لاحتاجت إلى عبارات طويلة.

لكن أسلوب العطف الخاص على العام جمع هذا كله في تراكيب قصيرة رشيقة، مع بقاء المعنى كاملًا غير منقوص، بل أكثر قوةً وتركيزًا. وهذا من دقائق بلاغة القرآن في تحقيق كثافة الدلالة مع قصر العبارة.

---

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/ ١٩٣.

(٢) تفسير القرآن الكريم، ابن القيم، ٥٤٩.

قال ابن كثير: " من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم، وخصوصا من عمله وهو: الكفر، وعبادة الأصنام، والظلم، والتعذيب بغير جرم". (١)

فالآية استخدمت كلمة واحدة "عمله" لتختزل كل أنواع الشرور والآثام التي ارتكبها فرعون –الكفر، الظلم، الطغيان، التعذيب، ادعاء الألوهية– وهذا الإيجاز عطف على فرعون ليحمل دلالة المبالغة في التحقير من شأنه.

- المبالغة في الاستعاذة:

العطف في الآية الكريمة يفيد المبالغة وشدة تضرّع امرأة فرعون في طلب النجاة من فرعون وجميع أعماله من كفر وظلم وتعذيب وغيرها، وهذا هو منهج الصالحين في الاستعاذة بالله والالتجاء إليه وسؤاله الخلاص عند المحن والنوازل. (٢)

وهذا التعدد في جهات الاستعاذة مع تكرار فعل النجاة يحقّق: مبالغة في التوجّه إلى الله، وإظهار الافتقار الكامل إليه في دفع الشرور المتعددة، وتوكيدًا على شدة كراهية قلبها للكفر والظلم وأهلهما.

قال السعدي رحمه الله: "فوصفها الله بالإيمان والتضرع لربها، وسؤالها لربها أجل المطالب، وهو دخول الجنة، ومجاورة الرب الكريم، وسؤالها أن ينجيها الله من فتنة فرعون وأعماله الخبيثة، ومن فتنة كل ظالم، فاستجاب الله لها، فعاشت في إيمان كامل، وثبات تام، ونجاة من الفتن".(٣)

ويفهم أن الاستعاذة الكاملة ليست مجرد كلمة تُقال، بل هي موقف شامل، تتجه فيه النفس إلى الله، طالبةً الخلاص من كل ألوان الشر وأشكاله ومظاهره، ما ظهر منها وما بطن.

(١) الكشاف، الزمخشري، ٤/ ٥٧٣.

(٢) ينظر مدارك التنزيل وحقائل التأويل، النسفي، ٣/ ٥٠٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ٨٧٥.

الخاتمة

تناول هذا البحث أسلوب عطف الخاص على العام في القرآن الكريم بوصفه ظاهرةً بيانيةً رفيعة، تبرز جانبًا من دقة النظم وإعجازه. وتبيّن من خلال الدراسة النظرية والتطبيقية أن

- أسلوب عطف الخاص على العام ليس مجرد صياغة لغوية، بل هو مظهر من مظاهر الإحكام الذي يتجاوز حدود التركيب إلى عمق الدلالة، ليكشف عن مقاصد تربوية وعقدية وبلاغية عظيمة.
- عطف الخاص على العام يحقق جملة من الأغراض، أبرزها: التشريف والتخصيص، وإبراز المزية، ورفع احتمال التوهم، وزيادة الإيضاح، وإظهار شمولية العلم الإلهي، والتنبيه على خطورة بعض الذنوب، والتشديد في التحذير منها، وتعظيم النعم، وترسيخ يقين المسلم بكمال الوحي وصدق الرسالة.
- تبين من المواضع التي تمت دراستها في البحث أن أسلوب عطف الخاص على العام يتناسق مع السياق العام للآيات، ويأتي مرتبطًا بالمقصد العقدي أو التربوي أو التشريعي، مما يعزز وحدة السورة ونسقها.
- ظهر من خلال الدراسة أن عطف الخاص على العام ليس أسلوبًا عابرًا، بل هو مفتاح من مفاتيح فهم الخطاب القرآني، وأداة مهمة في إدراك خصائص البيان الإلهي.

ويوصي الباحث بالربط بين الدراسات الدلالية اللغوية والدراسات البلاغية البيانية بأبحاث بينية نوعية تسهم في الكشف والإيضاح، كما يوصي بمزيد من الدراسات التطبيقية التي تربط البلاغة بالتفسير الموضوعي، وتكشف أثر الأساليب القرآنية في إثراء المعنى وتوسيع الدلالة بما يخدم الدراسات الشرعية واللغوية ويعمّق فهم كتاب الله تعالى.

فهرس المصادر والمراجع:

١- **الأصول في النحو**، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي، (م.ح)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠١٠م.

٢- **البحر المحيط في التفسير**، محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، (م.ح)، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٩م.

٣- **البرهان في علوم القرآن**، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، (م.ح)، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

٤- **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد التونسي الطاهر بن عاشور، (م.ح)، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٥- **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي الهرري، (م.ح)، بيروت: دار طوق النجاة، ٢٠٠١م.

٦- **تهذيب اللغة**، أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي الأزهري، (م.ح)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

٧- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، (م.ح)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.

٨- **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، (م.ح)، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م.

٩- **جامع البيان في تأويل القرآن**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (م.ح)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.

١٠- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، محمود بن عبد الله الألوسي، (م.ح)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠١٠م.

١١- **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري ابن عقيل، (م.ح)، القاهرة: دار مصر للطباعة، الطبعة العشرون، ١٩٨٠م.

١٢- **شرح قطر الندى**، عبد الله بن يوسف ابن هشام، (م.ح)، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

١٣- **شرح المفصل**، موفق الدين بن يعيش ابن يعيش، (م.ح)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.

١٤- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري، (م.ح)، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧م.

١٥- **الكافي شرح أصول البزودي**، حسام الدين حسين بن علي بن حجاج بن علي السِّغْنَاقي، (م.ح)، الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م.

١٦- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (م.ح)، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م.

١٧- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على الأنصاري ابن منظور، (م.ح)، بيروت: دار صادر، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م.

١٨- **مجموع الفتاوى**، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، (م.ح)، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٩٩٥م.

١٩- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، (م.ح)، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٩٩٨م.

٢٠- **معجم مقاييس اللغة**، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ابن فارس، (م.ح)، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م.

٢١- **مفاتيح الغيب المسمى بالتفسير الكبير**، محمد بن عمر الرازي والمعروف بابن الخطيب الشافعي فخر الدين الرازي، (م.ح)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

٢٢- **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى، (م.ح)، مصر: جامعة طنطا كلية الآداب، ١٩٩٩م.

٢٣- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، عبد الله بن يوسف ابن هشام، (م.ح)، بيروت: دار الفكر، الطبعة الرابعة، ١٩٩٦م.

٢٤- **النحو الوافي**، عباس حسن، (م.ح)، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠١٠م.

٢٥- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، (م.ح)، مصر: المكتبة التوفيقية.

Romanization of sources (APA 7th Style)

1- **Abu Hayyan, Muhammad ibn Yusuf ibn Hayyan al-Andalusi.** (1999). *Al-Bahr al-Muhit fi al-Tafsir*. (m.h.). Dar al-Fikr.

2- **Al-Alusi, Mahmud ibn Abd Allah.** (2010). *Ruh al-Ma'ani fi Tafsir al-Qur'an al-Azim wa-al-Sab' al-Mathani*. (m.h.). Mu'assasat al-Risalah.

3- **Al-Azhari, Abu Mansur Muhammad ibn Ahmad ibn al-Harawi.** (2001). *Tahdhib al-Lughah*. (m.h.). Dar al-Ihya' al-Turath al-Arabi.

4- **Al-Harari, Muhammad al-Amin ibn Abd Allah al-Urami al-Alawi al-Shafi'i.** (2001). *Tafsir Hada'iq al-Rawh wa-al-Rayhan fi Rawabi 'Ulum al-Qur'an*. (m.h.). Dar Tawq al-Najah.

5- **Al-Jawhari, Abu Nasr Isma'il ibn Hammad al-Farabi.** (1987). *Al-Sihah: Taj al-Lughah wa-Sihah al-Arabiyyah*. (4th ed.). (m.h.). Dar al-Ilm li-al-Malayin.

6- **Al-Nasafi, Abu al-Barakat Abd Allah ibn Ahmad ibn Mahmud Hafiz al-Din.** (1998). *Madarik al-Tanzil wa-Haqa'iq al-Ta'wil*. (m.h.). Dar al-Kalim al-Tayyib.

7- **Al-Raghib al-Asfahani, Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad.** (1999). *Al-Mufradat fi Gharib al-Qur'an*. (m.h.). Jami'at Tanta.

8- **Al-Razi, Fakhr al-Din Muhammad ibn 'Umar al-Razi.** (1999). *Mafatih al-Ghayb (Al-Tafsir al-Kabir)*. (2nd ed.). (m.h.). Dar al-Ihya' al-Turath al-Arabi.

9- **Al-Sa'di, Abd al-Rahman ibn Nasir ibn Abd Allah.** (2000). *Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan*. (m.h.). Mu'assasat al-Risalah.

10- **Al-Sighnaqi, Husam al-Din Husayn ibn Ali ibn Hajjaj ibn Ali.** (2001). *Al-Kafi Sharh Usul al-Bazdawi*. (m.h.). Maktabat al-Rushd.

11- **Al-Suyuti, Abd al-Rahman ibn Abi Bakr Jalal al-Din.** (n.d.). *Ham' al-Hawami' fi Sharh Jam' al-Jawami'*. (m.h.). Al-Maktabah al-Tawfiqiyyah.

12- **Al-Tabari, Abu Ja'far Muhammad ibn Jarir.** (2000). *Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an*. (m.h.). Mu'assasat al-Risalah.

13- **Al-Zamakhshari, Mahmud ibn 'Amr ibn Ahmad.** (1987). *Al-Kashshaf 'an Haqa'iq Ghawamid al-Tanzil*. (3rd ed.). (m.h.). Dar al-Kitab al-Arabi.

14- **Al-Zarkashi, Abu Abd Allah Badr al-Din Muhammad ibn Abd Allah ibn Bahadir.** (n.d.). *Al-Burhan fi 'Ulum al-Qur'an*. (m.h.). Dar Ihya' al-Kutub al-Arabiyyah.

15- **Hassan, Abbas.** (2010). *Al-Nahw al-Wafi*. (15th ed.). (m.h.). Dar al-Ma'arif.

16- **Ibn 'Ashur, Muhammad al-Tahir ibn Muhammad ibn Muhammad al-Tunisi.** (1984). *Tahrir al-Ma'na al-Sadid wa-Tanwir al-'Aql al-Jadid min Tafsir al-Kitab al-Majid*. (m.h.). Al-Dar al-Tunisiyyah li-al-Nashr.

17- **Ibn 'Aqil, Abd Allah ibn Abd al-Rahman al-Aqili al-Hamadani al-Misri.** (1980). *Sharh Ibn 'Aqil 'ala Alfiyyat Ibn Malik*. (20th ed.). (m.h.). Dar Misr li-al-Tiba'ah.

18- **Ibn Faris, Abu al-Husayn Ahmad ibn Faris ibn Zakariya al-Qazwini al-Razi.** (1979). *Mu'jam Maqayis al-Lughah*. (m.h.). Dar al-Fikr.

19- **Ibn Hisham, Abd Allah ibn Yusuf.** (1993). *Sharh Qatr al-Nada*. (2nd ed.). (m.h.). Dar al-Ma'arif.

20- **Ibn Hisham, Abd Allah ibn Yusuf.** (1996). *Mughni al-Labib 'an Kutub al-A'arib*. (4th ed.). (m.h.). Dar al-Fikr.

21- **Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram ibn Ali al-Ansari.** (1994). *Lisan al-Arab*. (3rd ed.). (m.h.). Dar Sadir.

22- **Ibn al-Sarraj, Abu bkr Muhammad ibn al-Sari ibn Sahl al-Nahwi.** (2010). *Al-Usul fi al-Nahw*. (m.h.). Mu'assasat al-Risalah.

23- **Ibn Taymiyyah, Ahmad ibn Abd al-Halim ibn Abd al-Salam ibn Taymiyyah al-Harrani al-Hanbali al-Dimashqi.** (1995). *Majmu' al-Fatawa*. (m.h.). Mujamma' al-Malik Fahd.

24- **Ibn Ya'ish, Muwaffaq al-Din ibn Ya'ish.** (2001). *Sharh al-Mufassal*. (m.h.). Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

25- **Al-Qurtubi, Abu Abd Allah Muhammad ibn Ahmad al-Ansari al-Khazraji Shams al-Din.** (1964). *Al-Jami' li-Ahkam al-Qur'an*. (2nd ed.). (m.h.). Dar al-Kutub al-Misriyyah.